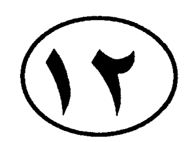
قصص الأنبياء للأطفال

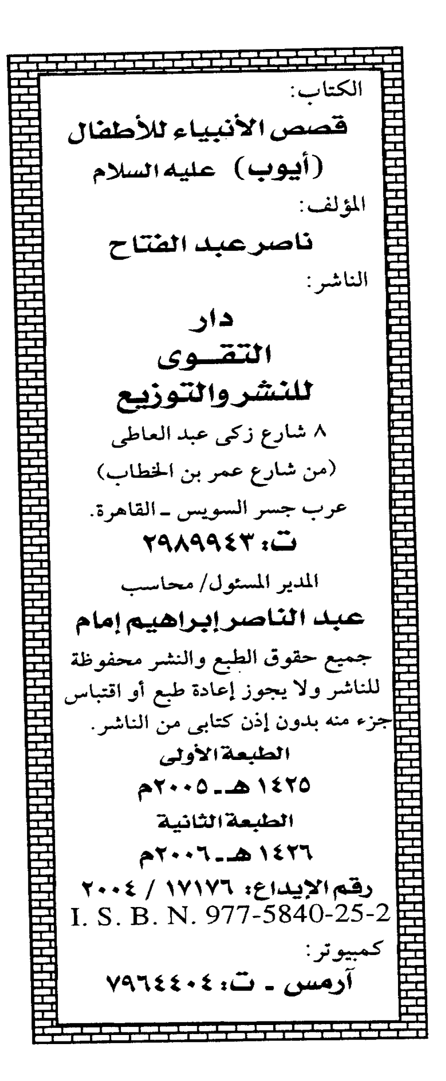


أيـــوبُ

(عَلَيْهِ السَّلامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:

قصص الأنبياء للأطفال

(أيوب) عليه السلام

المؤلف:

ناصر عبد الفتاح

الناشر:

دار

التقــوى

للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى

(من شارع عمر بن الخطاب)

عرب جسر السويس - القاهرة.

ت: ٢٩٨٩٩٤٣

المدير المسئول/ محاسب

عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤

I. S. B. N. 977-5840-25-2

كمبيوتر:

آرمس - ت: ٧٩٦٤٤٠٤

فى أَرْضِ حُورَانَ بالشَّام عَاشَ الناسُ فِى رَخَاءٍ ، وأَنْعَمَ اللهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَاسْمُهُ أَيُّوبُ فَآتَاهُ مَالاً كَثِيرًا وَرَزَقَهُ بالبَنِينَ والبَنَات ، وَوَهبهُ أَرْضًا شَاسعةً يَرْعَى فِيهَا آلافُ الأَغْنَام وَيَحْرُثهَا مِئَاتُ البَقَر ، وَرزَقهُ حَدَائِقَ مُتَنوِّعَةَ الأشْجَار ، فأصْبَحَ وَكَأنَّهُ يعيشُ فِى جَنَّةٍ .

مَنَحَ أَيُّوبُ كُلَّ مُحْتَاجٍ مِنْ خَيْرَات الجَنَّة وَفَتَحَ بَسَاتِينَهُ لَهُم يَقْطِفُونَ مِنْهَا مَا لَذَّ وطَابَ مِنَ الثِّمَارِ الشَّهِيَّة ، فَكَانَ الفُقَرَاءُ يرُوحُونَ وَيجيئُونَ فِيهَا وكَأَنَّهُم أَصْحَابُهَا وَلَمْ يَقْصِدْهُ صَدِيقٌ وَلا عَابرُ سبيلٍ إِلا وَفَكَّ ضَائِقَتَهُ وَأَعْطَاهُ مَا طَلَبَهُ مِنْ مَالٍ .

أَحسَّ الجميعُ بالأَمَانِ والاطمئنانِ فِى حدائقِ أَيُّوبَ حتَّى الطيورِ اتخذتْ مِنْ أشجارِهَا بيوتًا لهَا ، وعاشتْ فِى سكينةٍ تغردُ أعذبَ الأَلحانِ وتسبِّحُ ربهَا وتدعُو لأَيُّوبَ لأنهُ آواها ووفرَ لهَا مكَانًا آمنًا .

أتىَ اللهُ تعَالىَ أَيُّوبَ النُّبُوةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَته وَتَرْك كُلِّ فِعْلٍ يُغْضِبهُ .

أَخَذَ النبيُّ يدْعُو قومهُ ويَتَقَرَّبُ من رَبِّه فَأَحَبَّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَامْتلأ بَيْتُهُ بالفُقَراء والمسَاكِينَ . ظَلَّ أَيُّوبُ يُنْفقُ مِنْ مَالِه عَلَى المُحْتَاجِينَ ، وكُلَّمَا نَقصَ منه شَىْءٌ ازْدَادَ المَالُ مَرَّةً أُخْرَى بِفضْلِ الله .

الْتَفَّ أَهْلُ حُورَانَ حَوْلَ النبيِّ ولَمْ يُعَارِضْهُ سِوَى جَمَاعَةٍ مِنَ الناسِ ذَوِى قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ وَعُقُولٍ ضَعِيفَةٍ.

ولَمْ يَكْتَفِ القَوْمُ بِعِصْيَانِ أَيُّوبَ بَلْ أَخَذُوا يحْسُدونه واغْتَاظُوا مِنْهُ ، لأَنَّهُ يُنفِقُ أَمْوالَهُ عَلَى الفُقَرَاءِ واتَّهمُوهُ بالإِسْرافِ وأنهُ يُبعْثِرُ أموالَهُ هُنَا وَهُنَاكَ.

ولَمَّا دعَاهُمُ النبيُّ إِلَى الإِيمَانِ باللهِ والتَّصَدُّقِ عَلَى الفُقَرَاءِ ورِعَايَةِ الأَيْتَامِ قَالُوا لَهُ : أَتُرِيدُنَا أن نُبَعْثِرَ أَمْوَالَنَا عَلَى الفُقَرَاءِ حَتَّى تَنْفَدَ فنُصْبِحَ مِثْلَهُمْ لا مَالَ عِنْدَنَا ولاَ مَتَاعَ ، وعِنْدَئِذٍ نَمُدُّ أيدينا للآخَرِينَ وَنَتَسوَّلُ الطَّعَامَ والْكِسَاءَ وربَّمَا عَامَلنَا النَّاسُ بِقَسْوَةٍ وطَرَدُونَا.

أخبَرَهُمْ أَيُّوبُ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَزِيدُ المَالَ ولاَ تُنْقِصُهُ ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الذى يَرْزُقُ النَّاسَ وَهُو قَادِرٌ عَلَى منْعِ الرِّزْقِ عَنْهُمْ.

أَعْرَضَ القَوْمُ عَن أيُّوبَ وَتَرَكُوهُ وَحْدَهُ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ وَصَمَّمَ عَلَى إِقْنَاعِهِمْ.

* * *

رأى إبْليسُ مَا يَحْدُثُ فِى أَرْضِ حُورَانَ ، فَأَعْلَنَ الْحَرْبَ عَلَى أَيُّوبَ وأَقْسَمَ أَنْ يُضِلَّ قَوْمَ النبيِّ كَىْ يَحْرِمَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ باللهِ واتِّبَاعِ أَيُّوبَ. وَفِى الْحَالِ نَزَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ وَوَسْوَسَ لَهُمْ وَزَعَمَ أَنَّ أَيُّوبَ لَيْسَ نَبِيًّا.

أَصَابَ النَّاسَ ذُهُولٌ وَتَسَاءَلُوا : إذَا لَمْ يَكُنْ نبيًّا ، فلماذا يَعْبُدُ اللهَ لَيْلاً وَنَهَارًا وَيَتَصدَّقُ عَلَى الفُقَراء ؟

زَعَمَ الشَّيْطَانُ أَنَّ أَيُّوبَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ أَجْلِ زيادَة مَاله لا تَقَرُّبًا إلَيْه ولكىْ يُقْنعَهُمْ إبْليسُ برأيه الخبيث فإنَّه أَخْبَرَهُمْ أن أيّوبَ كُلَّمَا أَنْفَقَ بعضًا مِنْ مَاله ازْدادَ المَالُ مرَّةً أُخْرَى .

آمنَ الناسُ بكَلاَم إبْليس وأسْرَعُوا إلَى أيُّوبَ واتهَمُوهُ بالكَذب وأنهُ يعبُدُ اللهَ حُبًّا فِى المَال والولَد .

تأَلَّمَ النبىُّ منَ اتهَامهمْ ولَجَأَ إلَى رَبه وخرَّ سَاجِدًا مُسْتَغفرًا ثُمَّ دَعَاهُ أن يَهْدىَ قَومَهُ .

لَمْ يَنْقطعْ أَيُّوبُ عَنْ فعْلِ الْخير وتَقْديم العَوْن لكُلِّ مُحْتَاجٍ .

* * *

أَرَادَ اللهُ أَنْ يُلَقِّنَ الكُفَّارَ دَرْسًا لا يَنْسَوْنَهُ ، وأَنْ يثبتَ لَهُمْ إخْلاَصَ أَيُّوبَ وأنهُ يعْبُدُه حبًّا وَطَاعَةً وتَقَرُّبًا فَأَجْرَى اخْتبارًا عظيمًا لَهُ لَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ إلاَّ وأَخَذَتْ أَموالُ أَيُّوبَ تَتَنَاقَصُ إذْ سرَقَ اللُّصُوصُ آلافَ البَقَر والجمَال والمَاشيَة والأَغْنَام بينَمَا أُصيبَ البَاقِى بالأمْرَاض فَهَلَكتْ جَميعًا فِى زمنٍ قَصيرٍ .

ضَاعَتْ الثَّروَةُ وفَقَد أيُّوبُ مَا يمْتَلكُهُ منَ الأنْعَام خلالَ أيامٍ قَليلَةٍ

بَـاعَ أيُّوبُ النبيُّ الأَرَاضِيَ والحَــدائِقَ كَيْ يُنْفِقَ مِنْهَــا عَلَى أهْلِه والْمحتاجِينَ وَبِمُرورِ الأيامِ نَفِدَتْ أَموالُهُ وأصْبَحَ فقيراً لا يَمْلِكُ شَيْئًا.

فَرِحَ الكُفَّارُ وَظَنُّوا أَنَّ ربَّ أَيُّوبَ غَضِبَ عَلَيْهِ وحَرَمَهُ مِنْ أَمْوالِه وَتوقَّعُوا أَنْ يُفَارِقَ النبيُّ رَبَّهُ وَيَتْرُكَ عِبَادَتَهُ.

رَفَعَ أيُّوبُ يَديْه إِلَى السمَاءِ وَدَعَا اللهَ ثُمَّ سَجَدَ لَهُ شكراً عَلَى نِعْمَتَي الأَوْلادِ وَالصِّحة وَأَخَذَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْه وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلاة وَظَلَّ أَيُّوبُ كَرِيمًا سَخِيًّا لكنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِه كَيْ يمنَحَهُ للْفُقَرَاءِ فَقَسَّمَ طَعَامَهُ وَثِيَابَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ورَفَضَ أَنْ يَرُدَّ سَائِلاً دُونَ مُسَاعَدَةٍ.

وكُلَّمَا شَعَرَ أَيُّوبُ بِهَمٍّ أَوْ ضِيقٍ جَمَعَ أَوْلادَهُ حَوْلَهُ فَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ وَيُحِسُّ بارْتِيَاحٍ شَدِيدٍ ، فَيَحْمَدَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ الأَوْلادِ وَيَدْعُوهُ أنْ يَجْعَلَ ذُرِّيَّتَهُ صَالِحَةً.

مَرَّتْ أَيَّامٌ ومَاتَ أَبْنَاءُ أَيُّوبَ وَاحِدًا وَرَاءَ الآخَرِ ، فلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، اغْتَمَّ النَّاسُ وبَكَى بَعْضُهُمْ حُزْنًا لأنهُمْ كَانُوا مِنْ أجْمَلِ شَبَابِ البَلْدَةِ وأَحْسَنِهِمْ أخلاقًا.

اشْتَدَّ فَرَحُ الكُفَّارِ وَقَالُوا:

– الآنَ يَنْسَى أَيُّوبُ رَبَّهُ ، وَلَنْ يعْبُدَهُ مَرَّةً أُخْرَى.

ثُم تَسَاءَلُوا : كَيْفَ يَشْكُرُ رَبَّهُ وَقَدْ حَرَمَهُ مِنْ أَمْوَالِهِ وَأَوْلادِهِ فَأَصْبَحَ فَقِيراً مُفْلِسًا لاَ مَالَ عِنْدهُ وَلاَ وَلَد.

لَكِنَّ أيُّوبَ المؤمِنَ الصابِرَ لَجَأ إلَى الله واستغْرَقَ فِى الصَّلاَة والدُّعاءِ ، ولَمْ يُصَدِّقِ الكُفَّارُ أنفسَهُمْ عِنْدمَا سمِعُوا أيُّوبَ يشْكُرُ رَبَّهُ عَلَى نعمَةِ الصِّحَّة.

اشتَدَّ الفَقْرُ بأيُّوبَ وانصَرفَ عَنْهُ أصحَابُهُ وتركُوهُ وحِيداً مَعَ زوجَتِهِ بلاَ أنِيس ولاَ صديقٍ.

مَرَّتِ الأيامُ وأيُّوبُ صَابِرٌ شَاكِرٌ وزوجَتُهُ تُسَانِدُهُ وتُؤْنِسُهُ فِى وَحْدَتِهِ.

وذاتَ صَبَاحٍ استيقَظَ النبِىُّ مِنْ نومِهِ وحَاوَلَ أنْ يَمُدَّ يَدَيْهِ لِيَنْزِعَ الغِطَاءَ عَنْ جِسْمِهِ وإذْ بِهِ لاَ يقدرُ عَلَى تحريكِ يَدَيْهِ.

حَاوَلَ أيُّوبُ أنْ يُغَادِرَ سَرِيرَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتطِعْ تحريكَ جِسْمِهِ وأحَسَّ بِثِقَلٍ شَدِيدٍ وكَأَنَّ بَدَنَهُ حَجَرٌ ضَخْمٌ لاَ يُمْكِنُ زَحْزَحَتُهُ مِنَ مكَانِهِ.

اسْتَجْمَعَ أيُّوبُ كُلَّ قُوَّتِهِ وَحَاوَلَ النُّهُوضَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتمَكَّنْ مِنَ تَحْرِيكِ سِوَى لِسَانِهِ.

أَقْبَلَتْ زَوْجَتُهُ فَذَرَفَتْ دُمُوعًا غَزِيرَةً ، لأنَّ زَوْجَهَا أُصِيبَ بِالشَّلَلِ

وَعَجزَ تمامًا عَنِ الحَركَةِ ، ومِمَّا زَادَ أَلَمَهَا انتشارُ القُرُوحِ فِي جِسْمِهِ وإصَابَتُهُ بِالْجُدَرِي.

نَظَرَ أَيُّوبُ إِلَى جِسْمِهِ العَلِيلِ وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَحَرَّكَ لِسَانَهُ بِصُعُوبَةٍ قَائِلاً : الحَمْدُ للهِ عَلَى نِعْمَةِ الحَيَاةِ.

* * *

وَتَمضِي الأيامُ وكُلَّمَا مَرَّ يَوْمٌ ازْدَادتْ حَالَةُ أيُّوبَ سُوءًا واشْتَدَّ عَلَيْهِ المرَضُ حَتَّى أنْهَكَ قُوَاهُ وأضْعَفَهَا.

انْصرَفَ جَمِيعُ النَّاسِ عَنِ النبيِّ وخَافُوا أنْ يَزُورُوهُ كَيْ لاَ يُصَابُوا بالعَدْوَى وألْقَوْهُ فِي مكَانٍ بعيدٍ خَارِجَ الْقَرية ولَمْ يَقِفْ بجوَارِه سوَى زَوْجَته الوَفِيَّة فكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِأَجْرٍ زَهِيدٍ لِتُطْعِمَهُ وترعاهُ.

ازْدَادَ أيُّوبُ إِيمَانًا باللهِ وَصَبْرًا وكُلَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ المرَضُ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وشَكَرَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ الحَيَاةِ.

وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَخَلِّي أصْحَابِه وجيرانِه عَنْهُ فَإِنَّ زَوْجَتَهُ لاَزَمَتْهُ وتَذَكرَتِ السَّنوَاتِ السَّعِيدَةَ التِي قَضَتْهَا ولَمْ تَنْسَ حُبَّ زَوْجِهَا ورعَايَتَهُ لهَا أيامَ الثَّرَاءِ ، ولِذَلكَ رفَضَتْ أَنْ تَتْرُكَهُ وَحْدَهُ وكَانَتْ أَيَّامُهَا كُلُّهَا شَقَاءً حيثُ تَفِيقُ مِنْ نَوْمِهَا مُبَكِّرًا ، ثُم تُطْعِمُ زَوْجَهَا فُطُورَهُ ، وَبَعْدَ ذَلك تَمُرُّ عَلَى بُيُوتِ القَرْيَةِ ، وتَظلُّ تَخْدُمُ فِيهَا حَتَّى يَنْتَصِفَ النهَارُ ، ثُم تَعُودُ إِلَى زَوْجِهَا حَامِلَةً مَعَهَا طَعَامَ الغَدَاءِ

فَتُطْعِمهُ وَتَطْمَئِنُّ عَلَيْه ، وأخيرًا تَعُودُ إلى عَمَلِهَا حَتَّى يُقْبِلَ اللَّيْلُ فَتَرْجِعَ إلى زَوْجِها الحبيب .

ظَلَّت السَّيِّدةُ تَكِدُّ وَتَشْقَى حَتَّى وَهَن جِسْمُهَا وأَصَابَها ضَعْفٌ شَدِيدٌ ، لَكِنَّها لَمْ تَسْتَسْلِمْ لِلْيَأْسِ وَأَخَذَتْ تُكَافِحُ لِرعاية زَوْجِهَا .

وظَلَّتْ تَخْدُمهُ وتَعْتَنِى بِه وهِيَ مُبْتَسِمَةٌ سَعِيدَةٌ حَتَّى لا تُشْعِرَهُ بالإرْهاقِ والألَم الذى تُعَانِيه مِنَ العَمَلِ وَلِكَىْ لا تَزِيدَ مِنْ آلامِه .

* * *

مَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَسَنوات والزَّوْجَةُ الصَّابرةُ الوَفِيَّةُ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْ عَمَلِهَا رَغْمَ هُزَالِ بَدَنِها وَوَهَنِ صِحَّتِها لَكِنَّهَا أبَتْ أنْ تَتَخَلَّى عَنْ أيُّوبَ ، وَصَمَّمَتْ أنْ تَبْقَى مَعَهُ طِيلَةَ عُمْرِهَا فَهُوَ آخرُ شَخْصٍ بَقِيَ لهَا فِى الدُّنْيَا بَعْدَ رَحِيلِ أوْلاَدِهَا وَهِيَ أعَزُّ إنْسَانٍ لَدَيْه بَعْدَ تَخَلِّى أصْدِقَائه وَجِيرانِه وَأَقْرِبَائِه عَنْهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، طَرَقَت الزَّوْجَةُ بَابَ أَحَدِ البُيُوت التى تَخْدُمُ فِيهَا لَكِنَّها فُوجِئَتْ بِمُعَامَلَةٍ قَاسِيَةٍ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ وانْتَهَى الأَمْرُ بِطَرْدِهَا .

انْطَلَقَتْ الزَّوْجَةُ الوَفِيَّةُ إلَى بَيْتٍ ثَانٍ وثَالثٍ وَرابعٍ ، لَكِنَّهَا لاقَتْ نَفْسَ المُعَامَلَة القَاسِيَة .

أَدْرَكَتِ السَّيِّدَةُ أنَّ النَّاسَ امْتَنَعُوا عَنِ التَّعَامُلِ مَعَهَا خَوْفًا مِنْ أنْ

تُصِيبَهُم بالْعَدْوَى ، واسْتَطَاعَ الشَّيْطَانُ أنْ يُوهِمَهُمْ أنَّهَا مُصَابَةٌ بأمْرَاضِ زَوْجِهَا . أصَابَ السَّيِّدَةَ حُزْنٌ شَدِيدٌ وانْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ مِن عَيْنَيْهَا ، وَتَسَاءَلَتْ :

مَاذَا أفْعَلُ ؟ وكَيْفَ أُحْضِرُ الطَّعَامَ لِزَوْجِى الحَبِيبِ ؟

مَرَّتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ بَطِيئَةً ، واشْتَدَّ بِهَا القَلَقُ عِنْدَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وحَانَ مِيعَادُ غَدَاءِ زَوْجِهَا .

وَأَصَابَهَا غَمٌّ شَدِيدٌ لأَنَّ زَوْجَهَا مَرِيضٌ وصِحَّتُهُ واهِنَةٌ ، ولِذَلكَ فَهُوَ بِحَاجَةٍ شَدِيدةٍ لِلطَّعَامِ .

مَاذَا تَفْعَلُ . . . إنَّهَا لاَ تَمْلكُ سِوَى رِدَاءٍ قَدِيمٍ تَرْتَدِيهِ وهِىَ لاَ تَسْتَطِيعُ بَيْعَهُ ، لأَنهَا لاَ تَمْلكُ غَيْرَهُ .

وَلَكِنْ مَاذَا تَفْعَلُ ؟ . . . هَلْ تَعُودُ إلَى زَوْجِهَا بِدُونِ طَعَامٍ .

وَضَعَتْ السيدةُ يَدَيْهَا عَلَى رَأْسِهَا مِنَ شِدَّةِ الحَيْرَةِ ، وكَانَ اللّهُ قَدْ زَيَّنَ رَأْسَهَا بِشَعْرٍ نَاعِمٍ عَمِلَتْ بِهِ ضَفِيرَتَيْنِ رَائِعَتَى المَنْظَرِ ، وتَذَكَّرَتِ الزَّوْجَةُ شيئًا مَا ، وهَتَفتْ : مَازَالَ لَدَىَّ شىءٌ أبيعُهُ .

أَمْسَكَتِ المرْأَةُ بإحْدَى الضَّفِيرَتَيْنِ وَقَصَّتْهَا ثُمَّ بَاعَتهَا لِفَتَاةٍ ثَرِيَّةٍ .

غَطَّتِ الزَّوْجَةُ رَأْسَهَا ، وابْتَاعَتْ عِدَّةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الأطْعِمَةِ ،

وعَـادَتْ إلَى زَوْجِـهَـا ، تَعَـجَّبَ أيُّوبُ بِشِـدَّةٍ عندمَا رأى الأطْعِـمَـةَ المُتنوعَةَ وتَسَاءَلَ :

منَ أيْنَ لَك هَذَا ؟

خَافَت الزَّوْجَةُ أنْ تُخْبِـرَ أيُّوبَ بالحَـقِـيقَـةِ فَيَـزْدَادَ حُـزْنُهُ وألَمُهُ ، فَقَالَتْ لَهُ :

ـ خَدَمْتُ بِه أناسًا .

صَمَتَ أيُّوبُ وتَنَاوَلَ الطَّعَامَ ثُم لجأ إلَى رَبِّه وَشَكَرُه عَلى فَضْلِه .

وَفِي اليَـوْمِ التَّـالِي لَمْ تجد الزَّوْجَـةُ بَيْـتًا تَعْـمَلُ فِـيـه ، فَبَـاعَـت الضَّـفِـيـرةَ الثَّـانِـيَةَ وَعَـادَتْ بطعَـامٍ شَهِيٍّ ، إلاَّ أنَّ أيُّوبَ رَفَضَ تَنَاوُلَهُ وأقْسَمَ ألاَّ يَذُوقَهُ حَتَّى تُخْبِرَهُ بمَصْدَرِه .

سَكَتَت الزَّوْجَـةُ الوَفِـيَّـةُ وَنَـظَرتْ إلَى الأرْضِ خَجَلاً ، لَكنَّ أيُّوبَ لَمحَ رَأسَهَا وأصَابَهُ غَمٌّ شَديدٌ حينمَا رأى مَا حَدَثَ لَهَا .

وَسَادَ الصَّـمْتُ لحظَاتٍ ، ولَمْ يَنْطِقْ أيُّوبُ بكَلمَةٍ لأنَّ مَـا أصَـابَهُ ابْتـلاءٌ منَ الله وَلاَبُدَّ أنْ يَصْبِـرَ ، لَكنَّ زَوْجَتَهُ تَـألَّمتْ بشدَّةٍ لأنَّ مَرضَ زَوْجِـهـا طَالَ ، ومِمَّا زَادَ ألَمَهَـا أنَّ أيُّوبَ يَرْفُضُ أنْ يَدْعُو اللهَ كَيْ يَشْفِـيَـهُ وَهِيَ تُدْرِكُ أنَّ اللهَ لَنْ يَرْفُضَ دَعْوَتَهُ لأنَّهُ نَبيٌّ .

وَأصَابَ الزَّوْجَةَ حَيْرَةٌ شَديدَةٌ ، وَسَألَت نَفْسَهَا :

مَاذَا سَأَفْعَلُ غَدًا ؟ . . . لَنْ أَجِدَ بَيْتًا أَخْدُمُ فِيهِ ، وَلَيْسَ لَدَىَّ شَيْءٌ أَبِيعُهُ . وَاسْتَجْمَعَتِ الزَّوْجَةُ شَجَاعَتَهَا ، وَنَادَتْ زَوْجَهَا قَائِلَةً :

يَا أَيُّوبُ . . . لَوْ دَعَوْتَ رَبَّكَ لَفَرَّجَ عَنْكَ .

ارْتَسَمَ الحُزْنُ عَلَى وَجْهِ أَيُّوبَ ، وَكَأَنَّمَا أَصَابَتْهُ صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ مِنَ كَلامِ زَوْجَتِهِ وَتَأَلَّمَ ، لأَنَّ الشَّيطَانَ وَسْوَسَ لَهَا وَانْتَصَرَ عَلَيْهَا فَجَعَلَهَا تَيْأَسُ .

وَأَحسَّ أَيُّوبُ النبىُّ بِإِحْبَاطٍ شَدِيدٍ ، لأَنَّ زَوْجَتَهُ نَسِيَتْ أَنَّ اللهَ أَصَابَهُ بِالمَرَضِ كَىْ يَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَإِيمَانَهُ ، وَلاَبُدَّ أَنْ يَنْجَحَ فِى الاخْتِبَارِ حَتَّى لَوْ ظَلَّ مَرِيضًا عَشَرَاتِ السِّنِين .

نَظَرَ أَيُّوبُ إِلَى زَوْجَتِهِ غَاضِبًا ، وَقَالَ لَهَا :

قَدْ عِشْتُ سَبْعِينَ سَنَةً صَحِيحًا ، فَهَلْ قَلِيلٌ للهِ أَنْ أَصْبِرَ لَهُ سَبْعِينَ سَنَةً ؟

وَقَعَ هَذَا الْكَلامُ عَلَى الزَّوْجَةِ كَالصَّاعِقَةِ ، إِلاَّ أَنَّ أَيُّوبَ أَقْسَمَ أَنْ يَضْرِبَهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ حِينَ يَشْفِيهُ اللهُ عِقَابًا لَهَا عَلَى اتِّبَاعِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ .

انصَرَفَتِ الزَّوْجَةُ غَاضِبَةً فَبَقِىَ أَيُّوبُ وَحْدَهُ فِى الخَلاَءِ رَاقِدًا فَوْقَ الرَّمَادِ نَاظِرًا إِلَى السَّمَاءِ .

* * *

لجأ أيُّوبُ إلَى رَبِّه واسْتَغْرَقَ فِي الصَّلاَة ، وبَيْنمَا هُوَ جَالسٌ وَحْدَهُ إذْ مَرَّ به رَجُلاَن منْ قَوْمه ، فلَمَّا رَأيَا حَالَهُ خَشيَا أنْ يَقْتربَا منْه حَتَّى لاَ تُصيبَهُمَا العَدْوَى ، وقَالَ أحَدُهُمَا للآخَر :

لَقَدْ أذْنَبَ أيُّوبُ ذنبًا مَا أذْنَبَهُ أحَدٌ منَ العَالمينَ ، فَابْتَلاَهُ اللهُ بالمرَض وَأَهْلَكَ مَالَهُ وَأَوْلاَدَهُ .

عنْدَئذ تَألَّمَ أيُّوبُ منْ ظُلْم النَّاس ، رُغْمَ أنهُ لَمْ يُسئْ إلَى أحَد منْهُمْ وَتَذَكَّرَ زَوْجَتهُ الوَفيَّةَ المُخلصةَ والتي أغْضَبَهَا فَانْهَمَرتْ دُمُوعُهُ ونَادَى رَبَّهُ قَائلاً : ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾

[الأنبياء الآية : ٨٣]

واخْتَرَقَ الدُّعَاءُ السمَاوَاتِ السَّبعَ ، فاسْتَجَابَ اللهُ وأمَرَ نَبيَّهُ أيُّوبَ أنْ يَضْربَ الأرْضَ برجْله .

ضَرَبَ النَّبيُّ الأرْضَ برجْله فَتَفَجَّرَتْ عَيْنُ مَاءٍ بَاردَةٌ تَحْتَ قَدَمَيه وانْدَفَعَت الميَاهُ الصَّافيَةُ غَزيرَةً منَ الأرض ، أمَرَ اللهُ تَعَالَى أيُّوبَ أنْ يَغْتَسلَ منْ عَيْنِ المَاءِ ويَشْربَ منْهَا .

وَضَعَ أيُّوبُ النبيُّ يَدَيْه في العَيْنِ فَشُفيَتْ تَمَامًا منَ المرَض ، وأصبحَتْ حُرَّةَ الْحَركَة .

صَبَّ أيُّوبُ المِيَاهَ الصَّافِيَةَ عَلَى جِسْمِهِ وَغَسَلَهُ فَاخْتَفَت القُرُوحُ وَالجُرُوحُ ، وَأَصْبَحَ جِسْمُهُ سَلِيمًا مُعَافىً خَالِيًا مِنَ آثَارِ الأَمْرَاضِ.

شَرِبَ النبيُّ مِنْ عَيْنِ الماءِ ، فَأَحَسَّ بِنَشَاطٍ يِسْرِى فِى بَدَنِهِ وَكَأَنَّ قُوَّةً خَفِيَّةً تَسْرِى فِى جِسْمِهِ فَتُنْعِشَهُ.

أَمَرَ اللهُ تعَالَى السَّمَاءَ فَأَمْطَرَتْ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ . . . أَخَذَ أَيُّوبُ يجْمَعُ تِلْكَ الثَّرْوَةَ فِى ثَوْبِهِ ثُم سَجَدَ شُكْرًا للهِ عَلَى نِعَمِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِه.

وفِى المسَاءِ أقبَلَتْ سيِّدَةٌ تسيرُ فِى خُطُوَاتٍ بطيئةٍ . . إنهَا زَوْجَةُ أيُّوبَ . . عَادَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ عَزَّ عَلَيْهَا فِرَاقُهُ ، والتَّخَلِّى عَنْهُ فِى مِحْنَتِهِ.

نَسِيَت السيدَةُ غَضَبَ زَوْجِهَا ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ مُشْتَاقَةً لِرُؤْيَتِهِ وَخَائِفَةً عَلَيْهِ مِنَ الحَيَوانَاتِ المفْتَرِسَةِ.

تَوقَّفَت الزَّوْجَةُ فِى مَكَانِ أيُّوبَ ، وأخَذَتْ تَتَلَفتُ حَوْلهَا بَحْثًا عَنْهُ فَأصَابَهَا غَمٌّ شَدِيدٌ ، لأنَّهَا لَمْ تجدهُ لَكِنَّها رَأَتْ رَجُلاً قَوِىَّ الجِسْمِ جَمِيلَ الوجْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

ظَنَّت السيدَةُ أنَّ زَوْجَهَا أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ ، وَلَمْ تَتَخَيَّلْ أَنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ زَوْجُهَا ، اقْتَرَبَتَ زَوْجَة أيُّوبَ مِنَ الرجُلِ ، وَسَأَلَتْهُ:

ـ أينَ الرجُلُ المريضُ الذى كَانَ هَهُنَا ؟ !

نَظَرَ النبىُّ أيُّوبُ إلَيْهَا مُسْتَغْرِبًا ، وقَالَ :

ـ وَيْحَكِ . . . أَنَا أيُّوبُ .

أصَابَ المرْأَةَ ذُهُولٌ شَدِيدٌ ، وَصَوَّبَتْ نظَرَهَا إلى الرَّجُلِ ، وأخَذَتْ تَتَأَمَّلُهُ فَرَأَتْهُ يُشْبِهُ زَوْجَهَا أيُّوبَ تَمَامًا ، ولَكِنْ قَبْلَ أنْ يُصيبهُ المرَضُ .

أمَّا زَوْجُهَا فَقَدْ تَركَتْهُ واهِنَ الجِسْمِ عَاجِزًا عَنِ الحَركَةِ .

سَأَلَتِ المرْأَةُ نَفْسَهَا : أَيُمْكِنُ أنْ يَكُون هَذَا الرجُلُ القَوِىُّ زَوْجِى ؟

وَأَبَتِ الزَّوْجَةُ أنْ تُصَدِّقَ كَلامَ الرجُلِ ، وسَأَلَتْهُ مُتَعَجِّبَةً :

ـ أَتَسْخَرُ مِنِّى يَا عَبْدَ الله ؟

قَالَ أيُّوبُ : وَيْحَكِ . . أنَا أيُّوبُ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَىَّ جَسَدِى . أَشْرَقَ وَجْهُ الزَّوْجَةِ مِنَ الفَرَحِ واحْتَضَنتْ زَوْجَهَا وَخَرَّتْ سَاجِدَةً لله تعَالَى .

لَكِنَّ أيُّوب تَذَكَّرَ أنهُ أقْسَمَ أنْ يَضْرِبَهَا مائَةَ جَلْدَةٍ ، فَلَجَأَ إلَى الله وَدَعَاهُ كَىْ يُجَنِّبَهُ ذَلكَ العِقَابَ القَاسِى ، رَحْمَةً بزَوْجَته الصَّابِرَة .

استَجَابَ اللهُ دُعَاءَ أيُّوبَ فَأَمَرَهُ أنْ يَجْمَعَ مائَةَ عُودٍ مِنَ القَشِّ فِى

حزْمَةٍ واحِدةٍ ، ثُم يَضْرِبَ بِهَا زَوْجَتَهُ ضَرْبَةً واحدةً ، وبِذَلكَ يَكُونُ قَدْ ضربهَا مائةَ ضَرْبةٍ.

نَفَّذَ أيُّوبُ أمْرَ رَبِّهِ وَشَكَرَهُ عَلَى رَحْمَتِه بزَوْجَتِه الوَفيَّة المُؤمنَة.

وَرَزَقَهُ اللّهُ تَعالَى بالبنينِ وَالبَنَات مُكَافَأَةً لَهُ عَلى صَبْره ، وبَاعَ أيُّوبُ الذَّهَبَ واشْتَرى أرَاضىَ وَأَنْعَاماً وَفَتحَ أيُّوبُ النَّبىُّ بَسَاتِينَهُ للْفُقَراءِ وَالْمُحْتَاجِينَ.

وَعَادَ أيُّوبُ مَرَّةً أُخْرَى يُطْعِمُ الجَوْعَى وَيَرْعَى اليَتَامَى ، وَيَكْسُو العَرَايَا ، وَيَعْطِفُ عَلَى المسَاكِين.

● ● ●